



1 يوليو 2008

رحيل المؤرخ المصري رؤوف عباس بعد صراع مع المرض

حمدي حسين



من منا او من أى عامل لديه ولو قدر من الوعى والفكر لم يقرأ كتب ا. د / رؤوف عباس عن الحركة العمالية ولم يتعلم ويتعرف من خلال كتبه عن تاريخ نضال من سبقونا ومهدوا لنا طريق الكفاح .. (كفاح الطبقة العاملة) ... لقد حزنت كثيرا لوفاة هذا الرجل المحب والمساند للطبقة العاملة المصرية والذي اكتشف من خلال دراساته وابحائه وتأريخه للحركات العمالية ان الطبقة العاملة المصرية هي الطريق للتغيير .. سلاما عليك ولسوف تظل بكتاباتك معنا وعلى الدوام نتعلم منها ونحاول ان نؤرخ لتاريخنا من خلال مؤرخين من العمال وهذا ماكنت تنتقده فينا بخلاف طبعاً عنما عطيه الصيرفي متعه الله بالصحة والعافية ... وعنما طه سعد عثمان ” رحمه الله “

تبرز مذكراته التي صدرت منذ سنوات عدة تحت عنوان “مشيناها خطى” وفقاً لجريدة “الخليج” الإماراتية حجم المعاناة التي لقيها في حياته حيث يقول أنه ولد لأسرة فقيرة شأنها شأن السواد الأعظم من المصريين عندئذ حيث كان والده عاملاً في السكة الحديد يشغل أدنى درجات السلم الوظيفي للعمال وكان جده لأبيه عاملاً أيضاً في السكة الحديد.

نزع من قريته “جرجا” في صعيد مصر إلى مدينة بورسعيد، وعن والدته يقول إنها بورسعيدية من أصول دمياطية يعمل والدها بحاراً يبيع التذكارات الشرقية على ظهر قارب بجوار السفن عند دخولها القناة. وتحفل المذكرات أيضاً بلحظات ألم ويأس تعرض لها عباس كادت تدفعه للتوقف عن الدراسة، ولكنه استطاع عبر التحمل والمثابرة أن يواصل تعليمه العالي ويعمل في بعض المهن البسيطة حتى تم تعيينه في شركة قطاع عام تنتج حامض الكبريتيك وسماد السوبر فوسفات واستمر بالعمل فيها مدة خمس سنوات استطاع خلالها الاقتراب من العمال وجعل حياتهم موضوعاً لرسائله للماجستير عن الحركة العمالية وتاريخ الحركة النقابية في مصر ونوقشت رسالته في نوفمبر 1966.

وفي عام 1971 يحصل عباس حسبما أوردت “الخليج” على درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث بمرتبة الشرف الأولى ليعمل أستاذاً في قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة القاهرة وفي ابريل 1972 يسافر إلى طوكيو في مهمة لهية في معهد اقتصاديات الدول النامية، وكانت هذه المهمة انقلاباً في حياته العلمية ففضلاً عن إسهامها في تكوينه المنهجي وفي دراسة التاريخ المقارن وتعمقه في دراسة تاريخ اليابان في القرن التاسع عشر، فقد أكسبته مهارات بحثية جديدة ومنحته آفاقاً أخرى حيث استثمر تلك الفترة في ترجمة كتاب “يوميات هيروشيما” وتأليف كتاب آخر بعنوان “المجتمع الياباني في عصر مايجي” أصدره في حقبة التسعينات من القرن العشرين حينما احتدم الجدل في ساحة الثقافة العربية حول المقارنة بين مشروع محمد علي النهضوي واليابان في القرن التاسع عشر.

يقول رؤوف عباس في تقديمه لترجمة كتاب “أين الخطأ؟” لبرنارد لويس “كتاب برنارد لويس ليس فيه جديد سوى عنوانه وهي مهارة انفردها بها، فهو يصوغ مقولاته الأساسية مستخدماً المادة نفسها التي اشتغل عليها في كتب سابقة مثل الإسلام والغرب، واكتشاف المسلمين لأوروبا واللغة السياسية للإسلام، فكتابات لويس عن تاريخ وثقافة وسياسات الشرق الأوسط محملة بأجندة ايديولوجية تجمع بين المركزية الأوروبية والصهيونية ما جعلها وصاحبها مثاراً للجدل على ما يزيد على الثلاثين عاماً.”

ومنذ أعوام قليلة اتهم المؤرخ الأمريكي اليهودي جوثيل بينين عباس بمعاداة السامية وثار جدل واسع حول هذه المسألة في الصحافة المصرية، فهو رفض الإشراف على ترجمة كتاب بينين "شنتات اليهود المصريين" واعتبره لا يتسم بالموضوعية في رويته لموقف مصر الناصرية من اليهود المصريين ما دفع بينين لاتهام عباس بمعاداة السامية، الأمر الذي أثر في الوسط الثقافي في مصر وجعل وزارة الثقافة تتوقف عن ترجمة الكتاب.

وقدم عباس على مدى أربعين عاماً من لعمل البحثي والفكري كتباً بارزة منها "الحركة العمالية في مصر" و"النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الكبيرة" و"مذكرات محمد فريد" و"جماعية النهضة القومية" و"أربعون عاماً على ثورة يوليو.. دراسة تاريخية" و"حرب السويس بعد أربعين عاماً" وغيرها.

وتولى العديد من المناصب منها رئيس اللجنة العلمية لدار الوثائق القومية فضلاً عن إشرافه على مركز تاريخ مصر المعاصر التابع لدار الكتب المصرية، وترأس وحدة الدراسات التاريخية في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية قبل أن يتم اختياره رئيساً لمجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية منذ العام 1999 وحتى وفاته.

<http://khamdy.wordpress.com/2008/07/01/>